# الأبل في الشعر العربي القديم دراسة موضوعية فنية

**أ.د. عارف عبد الله محمود الإحبابي**

كلية الحضارة الجامعة /بلد

07803868023

**أ.م.د. وسام جعفر مهدي التميمي**

كلية التربية الاساسية/جامعة ديالى/قسم اللغة العربية

الايميل: basica37te@uodiyala.edu.iq

07702976503

**أ.د. سالم عيدان عبد النبي الطائي**

**الملخص:**

من خلال غوص الباحث في بحور الشـــعر الجاهلي والتمعن فيه ولا ســـيما تلك التي تعبر معانيه عن ذكر الصحراء والإبل التي تلوح في بيارقها كل معاني الوصف الدقيق لهذا الخلق الرباني العجيب في تركيبته، وحسن خلقه، والمعجزة التي نور الله عبده بهذا الخلق، لكي يطلع على الخلق المميز عن غيره، والذي وفر فيه كل القدرات والامكانيات. التي تؤهله للخوض في غمار تلك البيداء الوعرة، والتي عُرفت بخشـــونتها، وكثرة ومالها، وبأجوائها الساخنة فضلا عما يسودها من القحط والجدب.

فالعربي تغنى بهذا المخلوق في وصف دقيق بكل حيثياته، وما تميز به عن غيره بخصوصية الأعين التي تمتلك قدرة الرؤية الليلية على مدى مسافات بعيدة ، وطبيعة الخف من تحمل مشاق الصحاري فضلاً عن تحملها للجوع والعطش وما تدره من ثروة غذائية حيث اللبن وما شابه ذلك من تنقل وترحال في تلك الأراضي الواسعة والقفار ولم يأت هذا الوصف اعتباطا وإنما جاء وليداً من فكرة صاغ عباراتها شعراء دخلت في عقولهم سمة التميز، واختمرت في نفوســـهم بذرة الإيمان بمن خلق هذا ، وخلق غيره ، لذا تعلق في نفوســـهم عظمة الخالق، والتشوق إلى الذكر والثناء لمن تنعم عليهم بخيراته ، ولهذا أجاد شعراء الجاهلية الوصف لهذا المخلوق (المركوب ) بوصـــفه الطاقة التي لا تنضـــب ، والخزين المكنون عند الحاجة، والشـــاعر الجاهلي هو بأمس الحاجة إلى من يمده بالعون في ظل بيئة قاحلة لا تعرف لها ساكنا رسما .

**Abstract:**

By the researcher diving into the seas of pre-Islamic poetry and contemplating it, especially that which expresses its meanings by mentioning the desert and the camels that appear in their cars, all the meanings of the precise description of this divine creation, which is wondrous in its composition, and the goodness of its character, and the miracle by which God enlightened His servant with this creation, in order for him to see the creation that is distinguished from others, and in which He provided all the abilities and capabilities that qualify him to venture into the depths of that rugged desert, which is known for its roughness, its abundance and wealth, and its hot atmosphere of aridity and drought

The Arabs are concerned with this creature in describing its circumstances and what distinguishes it from others, such as the special nature of the eyes that possess the ability to see at night over long distances, and the nature of the hoof to endure the hardships of the desert, in addition to its endurance of hunger and thirst and the nutritional revolution it produces, such as milk and the like, of movement and travel in those vast and barren lands. This description did not come about randomly, but rather came from an idea whose expressions were formulated by poets in whose minds the characteristic of distinction entered, and in whose souls the seed of faith in the One who created this and created others fermented. Therefore, the greatness of the Creator became attached to their souls, and the longing to remember and praise those upon whom He bestowed His bounties. For this reason, the pre-Islamic poets excelled in describing this creature (the mount) by describing it as inexhaustible energy and a hidden treasure when needed. The pre-Islamic poet is in dire need of someone to provide him with aid in the midst of a barren environment that knows no one.

Or Arif Abdullah Mahmoud Al-Ahbabi

**المقدمة:**

منذ أن وجدت الخليقة كل شيء وضعه الله في تقدير، وكرّم الانسان على غيره من المخلوقات، وهيأ له سبل العيش بكل ما تفتضيه الحياة من متطلبات وعلى وجه الخصوص منها السفر والتنقل والترحال، ومن وسائط النقل التي هيأها الخالق لمخلوقة هي الإبل، لأنها تحمل سمة الصبر، وتحمل الاسفار لمسافات طويلة، وهي الوسيلة والواسطة الأسمى التي تنجيه من محنة مخاطر الفيافي،

وتجنبه عناء السفر على الاقدام، وتمهد له الطريق، وتسهل له مشاق التنقل من مكان الى اخر ذهاباً واياباً.

هكذا تجلت قدرة الله في خلقه حيث قال في محكم كتابه العزيز (ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم...)[1] وكذلك الحيوان أخصه الله بالعناية وحسن الخلق, وجعل فيه كل صفات التحمل لمواجهة الظروف في ظل اجواء حياتية تشعبت بالصعوبات ومنها أجواء البيئة, الصحراء في جزيرة العرب التي لا تعرف إلا الجدب والانتكاسات في ظل تجربة حياتية يخوضها الانسان بكد وجد , مستعيناً بما يكرمه الله من عون وصبر, متسلحاً بهذا الكرم الرباني لكي يتصدى لتلك الظروف التي عرفت بقسوتها وعلى الرغم من هذه الظروف التي ألمت به الا إنها جعلت منه انساناً قادراً على شق طريقه وتجاوز محنته بما هيأ الله له من سبل تمنحه الثقة لمقاومة تلك الظروف بقلب تسلح بالأيمان . لذا وصف الباري مركوبة الانسان واسطته، وكيف تمعن فيها متوجهاً بخطابه الكريم، وبصيغ تحمل سمة التعجب المقرونة بالاستفهام الانكاري المعزز بالتحضيض والحث في قوله:( أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت)[2]صدق الله العظيم. فلله في خلقه شؤون ففي كل تفاصيل جسدها له غاية ومأرب، وتبرير لهذا الخلق العجيب إذ يشكل سنامها خزين الماء كمشرب، وقوتها على ما ينبت في الارض من كلأ وأعشاب اتسمت بالجفاف والقسوة (العاقول والشوك) وما شابه ذلك، فضلا عن طبيعة خفها المصنوع بتركيبة خاصة وعجيبة للسير على الرمال وبشكل يختلف عن بقية المخلوقات الاخرى. وان شموخها وارتفاعها يجعلها تكشف الطريق لمسافات بعيدة، وتستنشق الهواء النقي الطلق بعيدا عن رمال الصحراء، لذا لا يمكن للبدوي أن يعيش في الفيافي بمعزل عن الأبل. وعلى الرغم من اعتزاز العرب بالخيول وميزها بالعناية والاهتمام، لكونها تعد وسيلة للدفاع والحرب فالإبل تحتل المرتبة الثانية بعد الخيل، لكونها تقدم خدمة للإنسان على مدار السنة. أما الخيل فهي رفيقة الفرسان وعدتهم الحربية في ميادين الوغى. فالإبل رمز الفيافي لذلك حظيت بلقب (سفينة الصحراء)، لأن الرمال كماء البحر يصعب عليه السير اما الأبل بقدرة الخالق جعلها قادرة على السير في الفيافي القاحلة والساخنة بأجوائها.

هكذا نالت الناقة إعجاب المخلوق حتى انغمرت قصائدهم بفيض وصفها فشغلت جزءاً رئيساً في اشعارهم ويعلل لنا الجاحظ سبب هذا الاهتمام من الشعراء (لأنها تستطيع أن تسليه عن هجر الهاجر, وأن تمضي به الى حيث لا يطلب , فقدرتها على الإسراع, واحتمال ما يفرضه السفر من الجهد والمشقة والهزال, هو أهم ما يعنيه

---

[1] سورة التين : الاية :4

[2] سورة القاشية :الاية 17

من هذه الناقة)[1]وخير من جسد هذه الافكار الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) وهو يودع حبيبته ويدعوها الى مغادرة المكان الذي كانا يلتقيان فيه, موضحاً عما في دواخله من مكنون الذات كي يستبيحها عذراً بالتبرير والحجة وذلك بقوله, ما صرفني عنك الحلم والحجا ولكن شغلني عنك اشغال اخرى , واصفاً مركوبته تلك الناقة التي ترفع ذنبها في عدوها, ادماء خالصة البياض , صلبة صافية العين, وهي التي عرفت بالقوة والنشاط, مشبهاً إياها بحمار الوحش , مسترسلاً بالحديث عما توافرت فيها من خصال , فهي من خيرة النوق واصلبها حيث رعت الحمى, وأكلتْ علف الامصار, ومنع عنها الفحول فطال بها الحيال , فلم يكن برفقتها حوار ترضعه , ولم تتشنج قوائمها بما يصيب الإبل من داء الخمال فقد استقدتها الأسفار البعيدة , وقت الظهيرة حيث يرتفع السراب ويلمع الإل , اذ يقول: [2]

فاذهبي ما اليكِ أدركني الحـ ... لم عداني عن ذِكْركم أشغالي

وعسير أدماء حادرة العيـ ... ـن خنوف عيرانة شملال

من سراة الهَجان صلّبها العـ ... ـض ورعْي الحمى وطول الحيال

لم تعطفْ على حُوار ولم يقـ ... ـطع عبيد عروقها من خُمال

قد تعلّلتها على نكظ المَيْـ ... ـط وقد خبّ لامعات الإل

ثم يسترسل بالحديث عن وصف ناقته في صحراء بعيدة الأطراف، يدوم فيها السفر، تشبهت بالغول في تلونها، واشتدت الظروف بالمسافرين من شدّة الظمأ، مما دفعهم الى البحث عن بديل لراحلتهم المتعبة حيث نفذ الماء فلم يبقَ الا الأوشال، مما ازداد في نشاط الناقة الحرة الضخمة، وكأنها قنطرة الروم تفري الارض فرياً أي ضرباً من عدو الإبل اذ يقول:[3]

فوق ديمومة تغول بالسفـ ... ـر قفار إلا من الآجال

واذا ما الضلال خيف وكان الـ ... ـورد خمساً يرجونه عن ليال

واستحث المغيرون من القو ... م وكان النّطاف ما في العزالي

مَرِحتْ حرة كقنطرة الرومـ ... ـي تغري الهجير بالإرقال

وما جرى للأعشى الكبير جرى لبشر بن ابي خازم الاسدي بعد أن التمس الصدود والهجران, وتناسي الأحبة لمن أحب دفعه الى التعامل بالمثل قطع وصال الحب, لعدم ايفاء المقابل بالوعد ونكثه بالعهد المبرم، لذا يهرب من واقعه المأساوي للبحث عن بديل آخر, واقع جديد يجد فيه بصيص من الأمل كي يهدئ سكينته ويخفف توتره

---

[1] خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة :310

[2] ديوانه :5 .ادماء. خالصة البياض . حادرة العين .صلبة العين . خنوف :نشيطة . عيرانة : تشبه حمار الوحش .الهجان: منالابلالبيضوالكرام . العض : العلف. الحوار: ولدالناقة .الخمال: داءيصيبالقوائمفيشتنجعروقها. النكظ : الشدةوالعجلة . الميط: البعد . خب : طالوارتفع . الآل : السراب

[3] المصدر نفسه والصفحة نفسها . ديمومة .صحراء :بعيدة الاطراف . النطاف: جمع نطفة وهي بقية الماء في اسفل الآنية

: مصب الماء .مرحت: نشطت . قنطرة الرومي : برجاً من بناء الروم . الارقال: ضرب من عدو الابل

الذي اثاره بناء على رؤيته للديار الدارسة, والارض المبعثرة بفعل عوامل التعرية التي غيرت معالم طبيعة الارض الأمر الذي اثار شجونه, مما افضى به الى البحث عن سبل يفك بها أزمته التي اثارت شجونه لذا وقع الاختيار على ماشيته, مركوبته (الناقة ) كي يسلي همومه من قهر البيئة فضلا عما أحاطت به من ظروف اجبرته الى التنقل والترحال سعيا للبقاء , وهو حق مشروع, وطبيعي في الوقت نفسه لشاعر تلبدت نفسيته بمشاعر الحزن دفعه الى اتخاذ بلسم السفر على الناقة صورة لإجلاء النفس المكدرة بالأحزان , وما أسفرت نتائجها من كسر لخواطر ,وعزل النفوس عما استهوت اليه وراق لها من لقاء ومودة له بعد الاثر لما يصحبه من خفق لفؤاد , واثارة لأشواقً وترقيق لمشاعر من يهوى, وترطيب لوجدانه, فما هي الا روافد تجري في شرايين الذات لما تحمله من معان جادة تقوي المحب , وتنمي حواسه ووجدانه لذا نجده يشكو همومه التي داهمته من اثر صرم محبوبته له واصغائها الى وشي الوشاة الذين اسهبوا بالسرد الذي يخلو من المصداقية لذا يمتطي ناقته محلقا في اجواء الصحراء الهادئة , وهو يغرد بنشيد الهوى لما انفرد به من مناقصات , وبنشيد الامل بنفسية تجبرت بنشيد الصبر وهو على مضض ,اذ يقول :[1]

سمعَتْ بنا قيل الوشاة فأصبحت  صرمت حبالك في الخليط الأشم

لولا تسلي الهم عنك بجسرةٍ  عيانة مثل الفنيق المكدم

ففي الأبيات الشعرية اعلاه تبرز سمة اليأس والاحباط في شخصية الشاعر من خلال استخدامه للفعل الماضي المتصل بتاء التأنيث الساكنة مرتين في صدر البيت الاول وعجزه (سمعتْ–صرمتْ ) وهي تحمل كذلك كل معاني المعاناة والشكوى من فقدان الحبيب, وهو يعمر كسرته بالتصدي والمقاومة بسلاح جديد يرمي به كسرته بلغة الصمود والتحدي لا بلغة الانكسار والخنوع , ملتجئ بعدته (ناقته) عوضا وبديلا عن هجران الحبيب , لكون الناقة لازمة من لوازمه فهي رفيقته في الدرب وسلوانة في ازمته , وكأنه يصور حاله بتوفر البديل عن العون والمساعدة , ونسيان خيانة الصاحب . وهي صورة أقرب الى الخيال من الواقع قد يصطدم المتلقي على إثر ما سمعه أو رآه أو التمسه باليد، أو اقتنع بهذه الرواية المنقولة عن ذلك المخلوق الرباني الذي ينتمي الى سلالة حيوانية، قد سجل موقفاً ايجابياً مخالفاً لموقف البشر (شريك الحياة المنتظر) محبوبته. معللاً سبب هذه القطيعة قول الوشاة وكذبهم كأن هدفهم فيه هدما لبيوت كانت تغرد بهوى الحب والمودة وصفوة القلوب فأنقلب الامر على عقب فاذا الاحباب كل في طريق. مسدلاً خاتمة موقفه بالتبرير الصادق المعزز بصدق القول، متخذاً من اداة الشرط غير الجازمة (لو لا) في صدر البيت الثاني كحرف امتناع لوجود فجعل من لولا صورة، لأثبات العون الالهي والايمان الصادق بفضل الخالق

[1] ديوانه: 178-179 الفنيق المكدم :الفحل الغليظ

لمخلوقة لما غمره من نعم وافضال، وبات يقينا أن اسرار ومزايا الإبل التي وهبها الله تعالى من قوة حاسة النظر الى درجة يمكنها السير في الظلام، وحاسة السمع التي لا تقل شأنا كذلك، فالإبل لها القدرة على تحمل العطش والجوع فهي حلويه وركوبة وحمولة, هكذا جعل الله في حسن خلقه دعوة للتأمل ورسالة للملحدين لعلهم يصححوا مسارهم الخاطئ من خلال التمعن بقدرة الخالق وبديع صنعه.

وعلى الرغم من توفر وسائط النقل الاخرى نقل غير الابل ومنها الخيل والحمير والبغال ولكن اصبحت القيم الاجتماعية تقاس بما يمتلكونه من وسائط اكثر حداثة , وقد يحسده الفقراء عليها .ففي الزمن السابق كان المقياس الاجتماعي للأشخاص المعروفين كشيوخ القبائل وفرسانها على ضوء ما يملكون من الابل والخيول , وتعد مصدراً رئيساً لتعزيز المكانة الاجتماعية , وضماناً للرصيد الاقتصادي لحاضرهم ومستقبلهم , فالإبل هي الخزين الذي لا ينضب وفي الوقت نفسه المال الذي يضمن تلبية الحاجات اليومية والرغبات , فمهر المرأة مرهون به , وفك الأزمات ولاسيما الذي يتعلق بالسبي والأسر وحل النزاعات العشائرية , وفصلها بالجمال والنوق على وفق ما يرتضيه الموقف من فك لرقاب وتسوية لديون ثأرية.

وقد جسد هذه الافكار زهير بن أبي سلمى في معلقته الميمية وهو يمجد بهرم بن سنان والحارث بن عوف لموقفهما المشرف لما قدموه من جميل ومعروف، هو دفع (ديات القتلى وسرعان ما تقدم الحارث لهم بمائة من الإبل وبابنه ليختاروا إما الدية وإما قتل فلذة كبده، فقبلوا الدية ودخلوا في الصلح)[1] اذ يقول:[2]

يمينا لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال، من سحيل ومبرم
تدارك كتما عبساً وذبيان بعدما ... تفانوا، ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما: ان ندرك السلم واسعاً ... بمال ومعروف، من الأمر، تسلم
فأصبحتما، منها على خير موطن ... بعيدين، فيها، من عقوق ومأثم
عظيمين في عُليا معد، وغيرها ... ومن يستبح كنزاً من المجد يعْظم
تعفى الكلوم بالمئين، فأصبحت ... يُنجمها من ليس، فيها بمجرم
يُنجمها قوم، لقوم غرامةً ... ولم يهرقوا، بينهم، ملء محج

لقد تعمق شعراء العرب ما قبل الاسلام بفن الوصف , وتمعنوا فيه, وهم يبثون عبر هذا الغرض الشعري حالاتهم النفسية , والذي يدفعهم الى مثل هذا السلوك وهو حديث الأبل للكشف عما في

(1)تاريخ الادب العربي ص 307 د. شوقي ضيف – دار المعارف ط 22 . القاهرة , 1960م
(2)شعره : 15-17

دواخلهم من عناة وآهات في مواقفهم الصعبة وأزماتهم الحادة , ومن الجانب الفني كانت الأبل المنفذ الذي يتغلغلون منه الى ضفة الأمان كي يبثوا معاناتهم , ويحققوا مبتغاهم بوصفها الوسيلة التي منها يقوّن إرادتهم , ويرفعون معنوياتهم ويثبتون اقدامهم ويشدون من عزيمتهم .

وهذا ما وجدناه عند طرفة بن العبد, وهو يتمنطق بمفرده الأنا ليفصح عما في دواخله من هم وألم وحسرة , ويبحث عن سبل كي ينور ارادة الذات بعد تشفير همومه وشكواه , دعوة لغلق ابواب ازمته النفسية وفتح صفحة جديدة في حديث مغاير مما كان عليه من كدر وقلق, مسليا نفسه بمركوبته التي خصص لها وصفه كله ,فهو راعي الأبل خبير به[1]تلك الناقة الضامرة النشيطة في سيرها, وتصل الليل في اسفارها , وطريقها سالك ومخطط فلا تخشى عثراتها, وراكبها في الحفظ والصون يتمتع بنعمة الامان, وهي متكاملة الاوصاف, قوية, موثقة الخلقة, سريعة العدو في طريق مألوف قد ظهرت اثار السير عليه, مشبها اياها بالجمل من حيث القوة, واكتناز اللحم, وكأنه يريد ان يقول انها تخلو من كل عيب, دخلت معترك الحياة وهي في قمة التميز والنجاح ابداعاً من ذاتها من دون تدريب, اذ يقول: [2]

وإني لأمضي الهم عند احتضاره ... بعوجاء مرقال تروح وتغتدي

أمون كألواح الأران نسأتها ... على لاحب كأنه ظهر برجد

جمالية وجناء تردي كأنها ... سفنجة تردي لأزعر أربد

تباري عتاقاً ناجيات واتبعت ... وظيفاً وظيفاً فوق مور مُعبّد

تربعتِ القفّين في الشول ترتعي ... حدائق موليّ الإسّرة أغيد

تريعُ الى صوْت المهيب وتتقي ... بذي خُصل روعات أكلف ملبد

كأن جناحى مضرحيّ تكنفاً ... حفافيه شُكّا في العسيب بمسرد

ومن خلال وصف الشعراء الدقيق لمركوبتهم وعلى وجه الخصوص الإبل تبرز سمة التميز والاقتدار في طرح الافكار عن طريق التشبيه، ليقربوا لنا الصورة في رسم مدهش وعجيب بل في غاية الدقة، طريقة مبتكرة تحمل سمة العرض الموجز، والحسن، ليبينوا لنا رؤيتهم الصائبة التي تتوافق مع الواقع وما يحملونه من صدق وايمان بذلك، لذا جاءت تشبيهاتهم مستوحاة

من البيئة لكي يضعوا النقاط على الحروف , ولا يتركوا الحبر مجرداً على ورق من دون جدوى الا ان يكون صورة كاشفة لما يحمله من حكمة نابعة من منطق العقل الراجح , متخذين من رمز الناقة سبلا يطرقونها لتوضيح الحقائق, والامر الذي لا شك فيه ولا يحمل النقاش ولا الجدل خلق الله

---

([3])ينظر : الشعر الجاهلي خصائصه واعلامه : 53

([1]) ديوانه: 28_30

تعالى بقدر قال تعالى:(انا كل شيء خلقناه بقدر)[1] مع توضيح مفصل يحمل سمة الايمان من خلال ضرب الامثال عبر خيال واسع كي تكون شاهدا ودليلا يعمق فكرة الايمان بدليل قاطع وبحجة تبعد الشك تزيله , وهي حقائق وثوابت ترسخت في ذهن الشعراء على وفق نظرية صحيحة قد اختمرت في مخيلاتهم بالأفكار المستوحاة من تجربة حياتية, نقل افكارها الشعراء وهم يمتطون صهوات إبلهم , مترصدون نقل اقدامها , حيث جعلت من هذه الرؤية الموثقة بحاسة البصر و( هي الوسيلة الاولى بين الكائن الحي ومعالم الحياة المادية من حوله وعليه)[2]كمشهد صوري امتزجت افكاره بالحس تارة وبالتشبيه تارة اخرى, فالبيئة وما تحتويه من مخلوقات ومنها الناقة وقائدها تمثل رمزاً وعنواناً لسمة الصبر على تحمل المكروه والصعاب في فيافي لم تعرف لها ساكنا رسافي معاناة مشتركة قد وثقت علاقتها, ولا بد لهذه العلاقة الحميمة ان تفسر نتائجها بعدم نكران الجميل هكذا جاءت كلمات الشعراء, لتفصح عما في دواخلهم من احاسيس ومشاعر بفضل الله وقوته اولا واخرا اذ سخر مخلوقته في الارض (الناقة) تلك التركيبة الغريبة المتميزة في الخلق لتكن عوناً وسنداً وذخراً وملاذاً آمناً عند الشدائد, هكذا طرح الشعراء افكارهم في عرض موسع مبينين خصائصها وخصوصيتها من الجانبين الشكلي والمضمون في الشكل تبرز سمة الجمال, وبالمضمون تبرز سمة الخدمة الانسانية ومنفعة البشر , ولله في خلقه شؤن.

وقد لخص لنا زهير بن أبي سُلمى هذه الأفكار بشيء من العقلانية والحكمة وبصبغة دينية اسلامية من خلال الإيمان بحتمية الموت, مشبهاً لنا الموت بناقة تتخبط

بعشواء لا تبصر, بل تطرق على غير هدى , فمن ترميه سهام الموت تلقيه , ومن تتخطاه يعمر بدنياه حتى يشيخ فيهرم, اذ يقول :[3]

رأيت المنايا خبط عشواء, من تصب تمته, ومن تخطيء يعمر , فيهرم

والشاعر انما يريد ان يقول ان المنية لا تترك الشباب لشبابه , ولا تقصد الكبير لكبره, وانما تأتي بأجل مسمى, حتى يدلي بحقيقة علمية عقدية مقرونة بالأيمان المطلق بأنه يعلم ما في يومه لأنه مشاهده, ويعلم ما كان بالأمس لأنه عهده وعاصره, واما علم الغيب لا يعلمه الا الواحد الاحد , اذ يقول : [4]

واعلم علم اليوم , والأمس , قبله ولكنني، عن علم ما في غد , عمي

---

(2) سورة القمر، الآية: 49

(3) اثر كف البصر على الصورة عند ابي العلاء المعري:42.

(1)شعره:25.

(2) ديوانه : 25

ولقد احسن طرفة واجاد في ايضاح الصورة بأسلوب فني من جراء التطابق البلاغي الحاصل في المعنى المراد , وهو يلم شتات فكرته وبصورة تقترب غاية الاقتراب للصورة التي التمسناها من زهير[1] اذ نجده يمثل الموت بقوله[2]

لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى  لكالطو لالمرخى وثنياه باليد

فالتشابه الحاصل بين الطرفين في رسم صورهما يرتبط ارتباطاً وثيقاً من الجانب المادي , وبمفردة التوسل والايمان بالقدر اما الاختلاف الحاصل هو اختلافاً طفيفاً يرتكز الاول التوسل بالناقة العشواء والثاني التوسل بالرسن .

وفي اغلب الاحيان نجد أن شعراء العرب القدامى يغلب عليهم طابع التشكيل الفني , والمتنوع من رسم الصور الشعرية ذات التركيب المتراكم , معتمدين فن الوصف تارة, وفن التشبيه تارة اخرى , وان الرابط الموثق بينهما يحمل سمة الوثاق المعزز بجمال التركيب اللغوي وكماله, دفعهم الى التغني بهذا الوجود الفني ,وفي سرد وصفي لا يخلو من التقرير في بعض الاحيان من بث لهذه الافكار التي يحملها الشعراء على شكل صور تقريرية كان مبعثها الحس البصري على وفق ما رأت اعينهم , لأنهم على تماس مع هذه الشريحة الحيوانية التي تميزت عن غيرها من الحيوان, لقدرتها على التحمل , والمطاولة في مواجهة ظروف الفيافي التي عرفت بالجفاف والمحل , والرمال والترحال في ظل اجواء يسودها مناخ الطقس الحار صيفا والبارد والممطر شتاء.

وان هذا التفاعل الحاصل بين الابل وبيئتها لم يأت اعتباطا او عفو الخاطر, وانما ناتج عن قدرة الباري الذي قدر فصور فجعل من هذا المخلوق ان يمتثل لأوامر مخلوق اخر مغاير لجنسه وطباعه وسلوكه وعقله، فينحني امام اوامر , وينصاع لطلباته , متحليا بالصبر لمواجهة قهر رمال الفيافي , شاقا طريقه بأقدام عرفت بالقوة، فترجلت في صحراء قاحلة لا تعرف الا القحط وقلة الكلأ والماء . لذا حق على راكبيها ان يتمدحوا بفضائلها، وينبهروا لشكلها ومضمونها. هكذا جاءت صور الواقع لتجلي حقيقة م ما في دواخل الشعراء من صدق في تعبير لكي يعطوا لكل ذي حق حقه من خلال الوصف والتشبيه، لانهما الاداتان المؤهلتان لرسم ابعاد الصور الشعرية.

وقد جسد لنا طرفة بن العبد هذه الافكار، وهو يغرد بلسان الوصف تارة وبلغة التشبيه تارة اخرى من خلال عرض موسع في الحديث عن شكل الناقة وهيكليتها، مبتدأ بعنقها الطويل، وبما يمتلكه من سرعة النهوض، مشبها حال حركتها في الارتفاع والانتصاب، كسكان سفينة تجري في نهر دجلة، وجمجمتها كالسندان في الصلابة، وموضع التقائها بفراش الرأس الذي لا تظهر فيه نتوء شاخصة،

---

(3) ينظر: فن الوصف: 9

(4) ديوانه : 49

وانما ملتئم متين كالمبرد, وان عينها صافية صفاء المرآة , والماء النقي, وهي غائرة في عظم قوي صلب كفلق في ارض صخرية, اذ يقول: [1]

وأتلع نّهاضُ اذا صعدتْ به  كسكّان بُوصنّب دْجلة مُصْعد

وجمجمة مثل العلا كأنما  وعى المُلتقى منها الى حرف مِبرد

وربما تباين الآراء وتختلف تبعا لمواقف الشعراء واحوالهم , والتي صنعتها المعاناة والظروف الطارئة فبذلك اختلف التعبير عنها في الشكل والمضمون, لغة واسلوباً , معناً وفكراً, وهم يغنون بجمال الأبل, وخدمتها, ولنا على سبيل المثال ما وجدناه في معلقة لبيد بن ربيعة العامري, والتي يستعرض فيها بالحديث عن يوم الفراق الذي قد حصل عند مغادرة الأهل والأحباب, مناطق سكانهم الاصلية الى ارض لم تطأها قدميه سابقا, فهو لا يمكن له ان يبوح عما في دواخله بما يتعلق بشأنها, ولا يردد بذكراها الا بالهمس والرمز, وهو يصور حال النساء وهن يدخلن الهوادج في وصف دقيق عما يبدو عليها من ثياب منشورة( ويذكر الأبل وقد نهضن, ويتحدث عنها وهي تخرج من سراب وهي تتمثل لعينه , ثم تغيب الابل, ويرتفع الضحى ولا يرى الشاعر الا تلالاً قد اتخذت من السراب أردية ) [2]

ويبدو لنا من خلال هذا التصوير عبر شاشة مخيلة الشاعر والواقع الذي يعيش فيه غربته الذاتية , ووضوح عزلته عن المحيط الذي يعيش فيه , لكونه لا يهوى التفاعل مع أُناس لا تتوافق افكارهم على وفق ما يهوى ويريد, فبذلك ارتمى في احضان العزلة والانفراد, فوجده الملاذ الهادئ الذي يغرد فيه بعيداً عن أجواء يظن انها تكدر خاطره, مؤمناً أن في العزلة راحة, وصفوة ذهن, وعمق في التفكير, واذا كانت الرؤية ملوثة بغبار الحزن تكدرت حياته , فدفعته الى فن الوصف من خلال سماع اصوات الهوادج , ورزم الخيام, ظنا منه انها تهواه, وتشكو الم الفراق الذي كان مبعثه الرحيل الذي هو خارج عن ارادة هوى الطرفين, ثم يستفهم بصيغة الاستنكار , أهذه هي الحقيقة ام لغة تفرد بها من عاش عالم الصدود والهجران؟ وهو يحن الى ذكريات اكل الدهر عليها وشرب, مستفهما, طالبا الجواب لكي يحظى ببصيص من الامل, هكذا تجسدت معاني الحب والوفاء لمن استهوى , وهو يقابل الصدود والهجران بالصبر والثبات على الرغم مما تيقن ان الابل قد جنت عليه , ومضت بمعشوقه الى اتجاهات مبهمة في فضاء صحراء عرفت بالخلوة وكثرة الرمال , هكذا غاصت به رمال الأبل, وهي تسير في رحاب الفيافي ثم جنت عليه بصدود الأحبة قسراً خارج عن إرادة الجميع فحصل التضاد بين الطرفين فهو الذي يدري بما حصل وان كان الخبر تحت فكرة الظن ومن المؤكد ان الذي

---

[1] ديوانه : 36

[2] الاصول الفنية للشعر الجاهلي :212

على ظهر هودج الناقة هو الذي لا يدري . هكذا جاءت عفوية الناقة على الرغم ما تحمله من صفاء النية هو تقديم الخدمة الانسانية للطرفين (الشاعر ومحبوبته) ولكن قدر الله وما شاء فعل فجعل الامور تجري بخلاف ما يرغبون , وتبقى المرأة هي التي لا تعلم بما حصل ولا تدري بأخبار من احب, ثم يسترسل بحديث الناقة(وسيلة في الوقت نفسه الى وصف المناظر الجميلة التي كانت تشيع في الصحراء, في عرض هادئ , نقرؤه فيخيل لنا اننا نراه امام عيوننا في روعته وجماله)[1] مسترسلا حديثه بوصف دقيق وهو يرسم صورة البطل في قصته المشوقة مع الناقة التي ترجلت في فضاء الصحراء كعادتها وتبدو ظواهر التعب على شكل الطرفين : الناقة التي ارتمت في احضان قسوة الصحراء ومسالكها الوعرة , والشاعر الذي انهكته الحياة, اذ يقول:[2]

شاقتْكَ ظُعنُ الحي حين تحملوا ... فتكنسّوا قُطُناً تصرّ خيامها

من كل محفوف يظلُّ عصيةً ... زوج عليه كأنه وقرامها

زجلاً كأن نعاج توضح فوقها ... وظباء وَجْرة عطفاً أرامها

حفزت وزايلها السراب كأنها ... اجزاع بيشة أثلها ورضامها

بل ما تذكر من نوار وقد نأتْ ... وتقطعت اسبابها ورمامها

هكذا تغنى الشعراء بمكروباتهم والابل منها على وجه الخصوص , وهم يدلون بمهامها ومزاياها, وبفضلها الكبير لما تقدمه لأبناء الجزيرة من خدمة متمثلة بالتنقل والترحال في ارجاء الصحراء كافة, وعلى الرغم مما تقدمه من نفع مادي ومعنوي فيها المتعة من جراء التجوال, وتعد كذلك المتنفس لبث احزان راكبيها وبمحاولات لكسر الخواطر وتجبيرها على اثر الصدود والهجران الذي قد يحصل بين الاحبة والأهل, فهي اذن المحرك الرئيس لبث عما في مكنون الذات كمنطلق يتخذونه لفك ازماتهم النفسية وعقدهم المتراكمة التي كان مبعثها ظروف طارئة تتلخص بأعباء السفر وتكالب الاقدار وتجافي الاهل والاحبة.

(1) الاصول الفنية للشعر الجاهلي : 215-214

[2] شرح ديوانه: 200-201

## الخاتمة ونتائج البحث

من خلال بحثنا في موضوع ( الابل في الشعر العربي القديم ) وجدنا أن نفوس عرب الجزيرة تعلقت نفوسهم بمكروباتهم والإبل منها على وجه الخصوص ، لأنهم وجدوا فيها ما يسر نظرهم وما يخفف أعباءهم، ويمهد لهم الطريق للخوض في رحاب الفيافي المليئة بالأخطار ، قدحت في عقولهم عظمة الموجد الخالق مما دفع شعرائها الى التغني بهذا المخلوق والتمعن به مع ذكر كل ما يتحلى به من سمات بأدق التفاصيل، وهم يعرجون على الشكل والمضمون معا ، وكمال الخلق وتركيبه بما يتلاءم ، وطبيعة البيئة والموقف إن دل على شيء إنما يدل إن الله كفيل بعباده أينما كانوا فهو الذي يُيسر ولا يعسر ، ويُمهل ولا يهمل فلا يترك أمور خلقه سدى من غير رعاية ، هكذا جعلهم الله يفكرون بجميل الخلق وسر الله في خلقه ، وهي خطوة من خطوات التفكير السليم لتقبل الدين الجديد

وجاءت نتائج البحث على النحو الآتي:-

1- تُعدّ الإبل عند الشاعر الجاهلي ضرورة من ضروريات شخصيته، وحاجة نفسية يفرغ من خلالها ما في جعبته من أزمات كان مبعثها الحب وما يتركه من الصدود والهجران يدفعه الى التسلية بناقته في ظل فضاء جزيرة العرب للبحث عن أجواء هادئة يسترخي به غضبه، فهو وسيلة من وسائله للتنفيس عما في دواخل الذات من كوامن الاحزان والهموم.

2- إن في الابل إثبات للوجود وسط الفيافي التي عُرفت بالوحشة وغربة الذات وفقدان لأمان ، فالعربي يجد في الإبل أمناً نفسياً بوصفها سفينة النجاة ، وأمناً غذائياً ، بكونها ثروة معطاء من الجانبين النفسي والغذائي فبغيابها ضياع وعدم استقرار، وهو يضرب على وترين بمطرقة الإحساس لكي يضمن الحصافة من درع المخاطر من جهة ولكي يخوض في حساب تسلية الخواطر وتجبيرها من جهة اخرى

3- ففي الإبل فك الرقاب الأسرى، وديات القتلى ، وسداد الديون، وإكرام الضيوف.

٤- الإبل رمز من رموز الصبر وتحمل مشاق السفر ومعاناة العطش والجوع.

5- برزت في شعر الإبل سمة الوصف لهذا المخلوق الرباني الذي توافرت فيه الخصال المحمودة، منها الحنين والوفاء والصبر، ويمكننا القول أنها المخلوق الوحيد القادر على تذليل الصعاب التي يعجز غيرها عن القيام به .

## المصادروالمراجع

**القرآن الكريم**

ا أثر كف البصر على الصورة عند أبي العلاء المعري، تأليف رسمية موسى السقطي مطبعة اسعد ، بغداد ، د-ط ، ١٩٦٨م.

٢- الأصول الفنية للشعر الجاهلي، تأليف د. سعد السماعيل شلبي، مكتبة غريب قاهرة ، د-ط ، ٩٧٧م :

3- تاريخ الادب العربي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ،ط22, القاهرة ، ١٩٦٠م. 4 - خصوبة العصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة محمد صادق حسن عبد الله ، دراسة ، وتحليل، ونقد ، دار الفكر العربي ، د-ط ، 1977م .

ه -ديوان الاعشى الكبير (ميمون بن قيس ) شرح وتعليق د.م محمد حسين ) المطبعة النموذجية، مكتبة الآداب بالمجازية ، ١٩٥٠م.

6- الشعر الجاهلي خصائصه وأعلامه ،( الافوه الأودي, زهير ,طرفة لبيد, الشنفري، درس و تحليل ، د. محمد صبري ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (د-ط) ، ١٩٤٤م.

7- شعر زهير بن أبي سلمى ، صنعة الاعلم الشنفري ، تحقيق د. فخر الدين قباوه ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط1 ,1970 م

8- ديوان طرفة من العبد الشاعر الجاهلي الشاب تحقيق ودراسة لشعره، وشخصيته ، د. علي الجندي، دار الفكر العربي، دار الكتاب الحديث ، (د-ط)(د-ت)

9 - شعر المثقب العبدي، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مطبعة المعارف ، (د-ط) بغداد، ١٩٥٦م

١٠- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، شرح وتحقيق ، وتقديم احسان عباس ، مطبعة حكومة الكويت ( د- ط ) الكويت ، 1962 م

11- فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ، إيليا الحاوي , منشورات دار الشرف الجديد ,ط1 ,1959 م .

**الهوامش**

1- سورة التين : الآية :4

2- سورة الفاشية :الآية 17

3- خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة :310

4-ديوانه :5 .ادماء. خالصة البياض . حادرة العين .صلبة العين . خنوف :نشيطة . عيانة : تشبه حمار الوحش .الهجان: منال بلا لبيضو الكرام . العض : العلف. الحوار: ولد الناقة .الخمال: داء يصيبا لقو ائم فيشتن عروقها. النقض : الشدة والعجلة . الميط: البعد . خب : طالوا ارتفع . الإل : السراب

5- المصدر نفسه والصفحة نفسها . ديمومة .صحراء :بعيدة الاطراف . النطاف: جمع نطفة وهي بقية الماء في اسفل الآنية

: مصب الماء .مرحت: نشطت . قنطرة الرومي : برجاً من بناء الروم . الارقال: ضرب من عدو الابل

6- ديوانه 178-179 . الفنيق المكدم : الفحل الغليظ

7 - تاريخ الادب العربي ص 307 د. شوقي ضيف – دار المعارف ط 22 . القاهرة , 1960م

8- شعره : 15-17

9- ينظر : الشعر الجاهلي خصائصه واعلامه : 53

10- ديوانه: 28_30

11- سورة القمر، الآية: 49

12- اثر كف البصر على الصورة عند ابي العلاء المعري:42.

13- شعره:25.

14- ديوانه : 25

15- ينظر: فن الوصف: 9

16- ديوانه : 49

17- ديوانه : 36

18- الاصول الفنية للشعر الجاهلي :212

19- المصدر نفسه : 214-215

20- شرح ديوانه: 200-201